الفصل الثانى

- المادية والروحية فى الاسلام
- الاسلام والحضارة الحديثة
- التكافؤ الانسانى فى الاسلام
- السلام العالمى فى الاسلام
- المسلمون والشعوب الأخرى
- قوة المسلمين فى ولاءبعضهم لبعض
- الاسلام اكبر عدو للاستعمار
- مسلمون واسلام
- مبادى الاسلام تكفل حقوق الانسان
- حقوق الانسان فى الاسلام

المادية والروحية فى الاسلام

المادية هى أن يتجه الإنسان إلى ما هو مادى فقط ، يتجه إلى مايوصل إلى جاه، أو مال ، أو ولد ، أو متاع آخر من متع الحياة الدنيا ، ويركز نشاطه فى تحصيله ، ويقصر تقديره عليه وحده . وإن تعارض عنده شىء مما هو مادى يريد الحصول عليه مع شىء آخر ليس بمادى: كعلاقة الأخوة والقرابة ، أو علاقة الجار والمواطن ، أو نحو ذلك — رجح المادى فى سعيه وتفكيره على ماعداه .

أصحاب هذا الاتجاه يصفهم الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم بقوله : « الذين ضلّ سعيهم فى الحياةِ الدُّنْيا ، وهُم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً [1] » . هؤلاء ضلوا السعى فى الحياة الدنيا لأنهم سيشقون بما يسعون إليه . سيزداد حرصهم على ماحصلوه من ماديات الحياة ، لايرغبون الفكاك عنه لأى دافع من الدوافع ، ولو كان هذا الدافع لصالح الإنسان نفسه ، أو صالح قرابته وأهله ، أو صالح وطنه وجماعته . فإن أكرهوا على التنازل عن شىء منه تألمت نفوسهم ، وتراكمت خواطر السوء عندهم ، وتبدو فيما يرون أو فيما يتحدثون به .

وإن لم يكونوا قد حصلوا بعد ، وأرادوا أن يحصلوا على هذه الماديات اتبعوا كل وسيلة ولو كريهة ، وأذلوا أنفسهم فى سبيل هذه الغاية مما لايحملهم فاقدى الإحساس بالكرامة فقط ، بل بما يجعلهم يضحون بكل علاقة وبكل حرمة ، فى جرأة وعدم استحياء .

ضلوا السعى فى الحياة لأنهم إما أن يجلبوا على أنفسهم الشقاوة والهرم ، وإما أن يضحوا بكرامتهم الإنسانية وآدميتهم . وهم فى هذه الحال وتلك يظنون أنهم يأتون بصنيع حسن . وبهذا يضاعفون على أنفسهم اللوم وسوء التقدير ، لأنهم جهلوا بجانب أنهم ضلوا .

* * *

(١) الكهف : ١٠٤ .

ومعنى الروحية أن الإنسان يدرك هذه الحياة الدنيا وزخرفها، ويدرك معها أيضاً المعانى الإنسانية الفاضلة، التى فى مقدمتها الإيثار والتضحية بمطالب النفس ورغباتها لتحقيق مصلحة الآخرين، أو لتحقيق الإنسانية فى صورتها الكريمة. وهى البذل والإعطاء، والمعاونة والمساعدة، والإرشاد السليم فى التوجيه.

ومع كون الإنسان صاحب الروحية يدرك الجانبين من الحياة، فإنه يؤثر الجانب المعنوى على الجانب المادى، يؤثر تحقيق الفضائل والقيم الرفيعة على شقوة النفس ومهانتها بانتزامها طريق المادة الجارفة.. يؤثر البداية على الضلال فى السعى.

ويقول القرآن الكريم فى وصف أصحاب هذا الاتجاه الروحى: «ويزيد الله الذين اهتدوا هدى، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً[1]».. «الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور[2]».

فالله جل شأنه وصفهم بأنهم ازدادوا هدى على هداية، لأنهم أدركوا الجانبين على حقيقتهما، ثم آثروا الجانب الباقى والدائم منهما. ولإيثارهم الجانب الدائم، وهو الصالح من أعمال البر وأعمال الإنسانية الفاضلة، كان ثوابهم عند الله أكثر خيرية وكان لقاؤهم فى الآخرة أحسن لقاء.

وأمارة أنهم يؤثرون هذا الجانب المعنوى الروحى: أنهم — إن مكن لهم فى الأرض — أقاموا الصلاة واتجهوا إلى الله دوماً خاشعين، وآتوا الزكاة لبر الفقراء والضعفاء، وأرشدوا الناس للحق، وبينوا لهم اعوجاج الباطل.

* * *

والإسلام هنا وإن كان يثنى على أصحاب هذا الاتجاه، ويبين لهم مكانهم فى الحياة الدنيا وثوابهم عند الله فى الآخرة — إلا أنه لا يطلب أن يكون الناس جميعاً من الروحيين الإيثاريين، ولا يلزمهم بالعكوف والعزوف عن الدنيا ومتع الحياة،

(١) مريم: ٧٦.
(٢) الحج: ٤١.

بل يبيح لهم أن يأخذوا حظهم من الدنيا وزينتها ، على أن لا يكون سبيلهم إلى ذلك سبيل الذى أغفل ما عداها ، وآثرها بالسعى على حساب الفضائل الإنسانية التى هى الباقيات الصالحات. يقول الله جل شأنه : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا[1] » .. فأقر سبحانه وتعالى الطرفين : الدنيا وزينتها من جانب ، والباقيات الصالحات من جانب آخر ، وفاضل بينهما بعد ذلك . ومعنى ذلك المفاضلة أن الطرف المفضول ـ الدنيا ومتعها ـ شريك مع الطرف الأفضل فى الإباحة والجواز . ويؤكد ذلك قول الله تعالى: قُلْ من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق[2] » .. فينكر المولى سبحانه على المحرمين لهذه المتع تحريمهم ، وهذا يؤذن بجواز الاستمتاع بها . وللمسلمين إذن أن يباشروا هذه الزينة ، وأن يستمتعوا بهذه المتع ، ولكن يجب أن يكون استمتاعهم بها بحيث لا يخرجهم عن انسانيتهم وآدميتهم ، وصلاحيتهم للقيادة والهداية فى هذه الحياة ، على نحو ما تفسد المادية الجامحة أصحاب الاتجاه المادى المغالين .

* * *

الإسلام إذن — يحرم المادية الطاغية ، ويحارب الماديين المغالين ، لأنه يراهم قد انحرفوا فى نشاطهم الإنسانى ، وأنهم لذلك مصدر عبث بالقيم الرفيعة الفاضلة .

---

(١) الكهف : ٤٦ .

(٢) الأعراف : ٣٢ .

الإسلام والحضارة الحديثة

تقوم الحضارة الحديثة على أساس من العلم ، وتهدف لغاية استخدام العلم فى تمكين الإنسان من منافع الحياة ، وتيسير أمر معيشته فيها . الحضارة الحديثة إذن بما فيها من علوم وصناعات تقدم رخاء للإنسان ، وتعاونه على حفظ صحته ، وتعطيه من الإمكانيات ما يقف بها على قوانين هذا الوجود الطبيعى ، كما تهيىء له الفرصة لاستغلاله على وجه منظم دقيق .

تلك هى الحضارة الحديثة : فيها العلم ، وفيها زينة الحياة الدنيا ومنافعها . والإسلام — وهو دين الحياة فى مرحلتيها الأولى والأخيرة — يقف من المعرفة موقف المشجع على تحصيلها والإفادة بها فى التوجيه . يحث على العلم ، لأن الجهل لا ينشىء إلا رذيلة . العالم فى نظر الإسلام ثمرة علمه . . أن يكون حساً فى سلوكه ، وأن يكون على بينة فى اعتقاده . أما الجاهل فلا يتبين رشده من غيه . ولذلك لا يحسن فى تحديد علاقته بغيره ، وفى تحديد صلته بالله الخالق . يضل فى هذه ، ويغشى فى تلك . يقول الله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »(١) .

الإسلام كدين ينصح فى الدرجة الأولى بالعبادة وأداء فروضها . ولكن مع ذلك يروى عن أبى إمامة الباهلى أنه يقول : ذكر لرسول الله رجلان ، أحدهما عالم ، والآخر عابد ، فقال رسول الله ﷺ : « **فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم** » .. فالرسول الكريم آثر العالم على العابد . ذاك لأن العالم قلما يعبد الله على حرف ، وقلما يجنح عن الصواب فى عبادته . أما العابد فقد يدخل عليه فى الصورة التى يؤدى بها عبادته ما يجعل العبادة بعيدة عن أن تكون قربى إلى الله تعالى ، وطاعة صحيحة فى واقع أمرها للمولى جل وعلا .

---

(١) الزمر : ٩ .

والرسول ﷺ قدر العلم وأكد قيمته فجعله كفارة لصاحبه عن ذنوبه الماضية ، كما جعله وسيلة لتحصيل ثواب الله فى الآخرة . يروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « **من طلب العلم كان كفارة لما مضى** » . ويروى عنه كذلك عن النبى ﷺ أنه يقول : « **ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة** » .

الإسلام بذلك يقر الدعامة التى تقوم عليها الحضارة الحديثة ، وهى دعامة العلم والمعرفة ، ويؤكد فى النصح بشأنها .

أما الغاية التى تشير نحوها هذه الحضارة ، وهى تمكين الإنسان من الانتفاع بهذه الحياة الدنيا فى أرضها وسمائها ، وهوائها ومائها ، وجبلها وسهلها ، فى صورة سهلة كريمة — فالإسلام لا يعرقل سير الخطوات نحو هذه الغاية الإنسانية ، بل يشدد النكير على من ينفر الإنسان منها ، ويدفعه على الوقوف دونها . يقول الله سبحانه وتعالى : « قلْ مَن حرَّم زينة الله التى أخْرج لعبَاده والطيبات مِنَ الرزْق ؟ قلْ هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوْم القيامة ، كذلك نفصل الآياتِ لقوم يعلمون »[1] .. فالله جل شأنه هنا فوق أنه أنكر على من يحرم زينة هذه الحياة وما فيها من مباهج ومنافع مادية ، فوق أنه أنكر عليه صنيعه هذا — يؤكد أنها للمؤمنين خالصة ، بمعنى أن ليس على المؤمنين من شائبة نقص إذا استخدموها ، وسعوا إليها . ثم يزيد على ذلك فيذكر أن من يحرمها ليس من جنس عقلاء البشر : « كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » .

* * *

الإسلام بعد هذا الإجمال فى موقفه من زينة الحياة الدنيا ومنافعها تناول بعض مقومات هذه الحضارة وبعض العناصر الرئيسية التى تتكون منها : ذكر الحديد وقيمته ومدى منفعته للناس ، فقال الله جل شأنه : « وأنزلنَا الحديدَ فيه

(١) الأعراف : ٣٢ .

بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز »[1]. ويقول : « ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد ..»[2].. إلى غير ذلك من الآيات التى تشير إلى العناصر الرئيسية الأخرى — كالفحم الذى عبر عنه القرآن الكريم بغرابيب سود ..

والإسلام بهذا وذاك يقف من الحضارة الحديثة موقفاً إيجابياً . إلا أنه فقط يحذر من خداع الإنسان بمتع هذه الحياة ، يحذره من أن تصبح له فتنة ، ويصبح مفتوناً بها ، يركز نظرته فى الحياة إليها وحدها ، ويقصر نشاطه وسعيه على تحصيلها ، تاركا الهدف الأسامى فى الحياة كلها ، والوجود كله ، وهو الله سبحانه وتعالى ، والإيمان به . وهذه المتع — لذلك — إن كانت زينة هذه الحياة ، فإنها من جانب آخر موضوع لاختبار المتّعين بها فى تصرفهم إزاءها ، وفى الإيمان بالله بعد ذلك . يقول سبحانه : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا »[3].

يحذر الإسلام من الافتتان بهذه المتع حتى لا تسيطر عليه مادية الحياة الدنيا ، فينسى النوع الآخر من الحياة ، وهو الحياة الأخروية . وإذا نسى هذا الضرب الآخر من الحياة ، لم يعد يخشى الله وجزاءه . وإذا انتزعت من قلبه خشية الله ، عامل نفسه معاملة المستغنى ، وعندئذ يطغى فتهلك نفسه ، ويهلك غيره معه إن أصيب بطغيانه . يقول الله جل شأنه : « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى »[4] .

الإسلام يريد أن تبقى زينة الحياة زينة لمن يباشرها ، ويتمتع بها ، ولكنه يمنع من أن تتحول إلى مصدر للإهلاك والشقاء فتخرج عن طبيعتها .

---

(١) الحديد : ٢٥ . (٢) سبأ : ١٠ . (٣) الكهف : ٧ .
(٤) العلق : ٦ ، ٧ .

التكافؤ الإنسانى فى الاسلام

نظرة الإسلام إلى الناس جميعاً نظرة متساوية ، عندما وجه إليهم رسالته . نظر إليهم على أن طبيعتهم الإنسانية فى خصائصها طبيعة واحدة ، وأن استعدادهم البشرى فى أصله استعداد لا تفاضل فيه . وعبر عن ذلك بقول الله تعالى فى قرآنه الكريم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »[1] .. فهم فى نظره من أصل واحد ، وتفرقهم بعد ذلك إلى شعوب وقبائل لا يحول دون تجانسهم ، ولا يمنع من توادهم وتعارفهم . بل هذا التفرق إلى الأمم والجماعات سيصير بهم من جديد إلى التوادد والتعارف ، لأنهم خلقوا من طبيعة واحدة ، فمآل أمرهم إلى أصل نشأتهم .

ومن أجل أن الإسلام نظر إلى الناس نظرة متكافئة لا تفرقة فيها ، وجه إليهم رسالته ، وجعلهم أمامها فى التبعة والمسئولية سواء . يقول لهم جل شأنه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء »[2] .

ويقول : « .. واعبدُوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم »[3] .

ففى الوقت الذى يطلب منهم جميعاً أن يتقوا الله الخالق ، ويتبعوا وصاياه التى تحدد على وجه الإجمال بعبادة الله وحده ، دون إشراك كائن آخر معه

---

(١) الحجرات : (٢) أول النساء .
(٣) النساء : ٣٥ .

فى العبادة ، وبالإحسان وعمل الخير والمعاونة والمشاركة الاجتماعية ـ فى هذا الوقت الذى يطلب فيه ذلك يؤسس هذا الطلب على أنهم خلقوا من نفس واحدة ، ومصدر طبيعتهم مصدر واحد .

وتبعاً لنظرة الإسلام إلى البشرية عامة هذه النظرة الموحدة — عمل على إزالة الحواجز والعوائق التى قد توهم المفارقة فى الطبيعة الإنسانية ، وتوهم تنوعها إلى أنواع مميزة ، فى أصلها ، وإن من هذه الأنواع مايفضل بعضه فى نشأته وكونه .

عمل على إزالة الرق فى صورته المعروفة فى تاريخ الإنسانية ، وهى أن يملك الإنسان الإنسان ، ويتخذ منه تابعاً مفضول القيمة يلحق بمتاع هذه الحياة وسلعها ، ويجوز عليه مايجوز عليها من بيع وشراء ، وهبة وكراء ، وبقية التصرفات الأخرى التى تفصلها عقود المعاملات بين الناس بعضهم مع بعض .

عمل على إزالة الرق فى هذه الصورة بوسائل شتى ، ترجع جميعها إلى أن عتق الرقيق وفكه من قيود التبعية والملكية لإنسان آخر ، عمل عظيم يتقرب به الإنسان المالك إلى الله تعالى ، ويتقدم به على كل عمل آخر من أعمال الإحسان للغير فى الجماعة البشرية . يقول الله تعالى : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ[1] » . فجعل عتق الرقيق أمارة على المنزلة الرفيعة التى يبلغها الإنسان عند الله بسبب هذا العتق ، وجعله مقدماً على صور الأعمال الخيرية الأخرى .

وتبعاً لنظرة الإسلام إلى البشرية عامة هذه النظرة الموحدة — عمل أيضاً على تخليص الإنسانية إذا استعبدت فى صورة جماعية : عمل على مناوأة الاستعمار فى مظاهره المختلفة ، لأنه ضرب من الرق كذلك ، ونوع من العقبات والحواجز التى توهم أن البشر يتميزون فى طبيعتهم الأصلية ، مع أنهم خلقوا من نفس واحدة : يقول تعالى . إنما وليكم الله ورسوله ، والذين آمنوا[2] » .. ويقول « والمؤمنون

(١) البلد : ١٢ — ١٦ .
(٢) المائدة : ٥٥ .

والمؤمنات بعضهم أولياءُ بعض [1]» .. وبذلك رفع وصاية الأجنبي الدخيل ، وقدم النصح بدلم قبول ولاية المستعمر . فالمستعمر أجنبي دخيل يرى لنفسه وضعاً معيناً في الحياة ، ولغيره ممن يستعمرهم وضعاً آخر ، أقل شأناً في الكرامة الإنسانية وأقل مجالا في الحياة العامة ، وأدنى منزلة في الاستمتاع بخصائص الإنسان كإنسان حر كريم ، بحكم أصله وطبيعته .

الإسلام أيضاً رتب على هذه النظرة المتكافئة إلى البشرية كلها وجوب التعاون بين أفرادها على البر والتقوى ، وعدم تضامنهم على الإثم والعدوان . فالله جل جلاله إذ يقول : « وتعاونُوا على البر والتقْوى ، ولا تعاونُوا على الإثم والعدْوان[2] » .. ينشد المعونة الخيرة ، وترك المعاونة الآثمة ، على أساس أن كل إنسان عنده الاستطاعة إلى هذه ، أو تلك . وذلك لايكون إلا إذا كانت نظرته إلى البشر نظرة متساوية متكافئة .

ولم يفاضل الإسلام بين إنسان وإنسان ، وجماعة وجماعة إلا في نوع العمل الذي يأتي به الإنسان ، أو تأتي به الجماعة ، فيقول تعالى : « إنّ أكرمكم عند الله أتقاكُم[3] » .. ويقول جل شأنه كذلك: «ومن جاهد فإنما يُجاهد لنفْسه ، إن الله لغنى عن العالمين[4] ..» .. ويقول «والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .. وهذه المفاضلة لاتتصل بطبيعة البشر ، وإنما تتصل بالمجهود البشري ، ونوعه واتجاهه ، وذلك شيء بعد الطبيعة البشرية نفسها .

---

(١) التوبة : ٧١ .
(٢) المائدة : ٢ .
(٣) الحجرات : ١٣ .
(٤) العنكبوت : ٦ .

السلام العالمى فى الاسلام

السلام العالمى معناه نبذ الخصومات بين الشعوب والجماعات وقيام العلاقات بينها على أساس من الاستقرار والطأنينة .

السلام العالمى هو توجيه نشاط الشعوب والجماعات نحو حياة إنسانية أفضل وأهدأ .وتوجيهها إلى البناء ، بدلا من الهدم، لصالح الجماعة العامة ، وهى الإنسانية .

الإسلام ينشد السلام الداخلى والخارجى، ويسعى إلى الاستقرار داخل الأمة الإسلامية ، وإلى الاستقرار فى علاقتها بالأمم الأخرى ، وبالأخص تلك الأمم التى لاتنكر الخالق ، ولا تعبث برسالات الرسل .

الإسلام يتجه إلى جماعة المؤمنين بهذه الصيغة فى قول القرآن الكريم:

« وَمَن أَحْسَنُ قَولاً ممن دَعَا إلى الله ، وَعمل صَالحاً..[1] » ..فحث على أن يكون قول المسلمين دعاء وتقرباً إلى الله ، أى يبتعدون فيه عن إيذاء الناس ويطلبون خيرهم . لأن ما كان لله فهو لخير الناس ، وما كان لخير الناس بعيد عن أن يكون فيه إيذاء لهم واعتداء عليهم . حث المسلمين على ذلك ، كما حث على أن يكون عملهم صالحاً خيراً . وبهذا وذاك توجه الإسلام المسلمين إلى أن يكونوا فى أقوالهم وأفعالهم خيرين . ومعنى ذلك أنه لايطلب منهم الوقوف عند حد عدم الإيذاء فحسب . بل مع ذلك يطلب منهم أن يكونوا أصحاب عمل إيجابى لرفاهية الجماعة الإسلامية وسعادتها .

وكما يتجه الإسلام إلى المؤمنين فى علاقتهم بعضهم ببعض على هذا النحو ، يتجه إليهم أيضاً فى علاقاتهم مع الأمم الأخرى اتجاه المطالب بالسلام والاستقرار

---

(١) فصلت : ٣٣ .

وعدم الاعتداء فى علاقاتهم بهذه الأمم . يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين : « يَا أيها الذين آمنُوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعُوا خُطُوات الشيطان ، إنه لكُم عدو مُبين[1] » .. فيطلب منهم أن لا يعتدوا على غيرهم ، وأن يشاركوهم فى السلام العام ويسهموا معهم بنصيب إيجابى فيه .. وذلك هو معنى دخولهم فى السلم كافة ، وعدم تتبعهم خطوات الشيطان .

ومع أن الإسلام يطلب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين فى عملهم للسلام العالمى ، يطلب منهم أيضاً أن يكون قولهم قول الحريص على السلام ، وهو صاحب القول الحسن ، الذى لا يندفع فيه تحت ضغط هواء أو وسوسة الشيطان له . يقول سبحانه مخاطباً رسوله الكريم: « وقلْ لعبَادى يَقُولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ، إن الشيطانَ كانَ للإنسان عدُواً مُبيناً[2] » .

وهنا نرى الإسلام يقر مبدأ عدم الاعتداء ، ثم مع إقرار هذا المبدأ يسعى لتحقيق خطوة أخرى بعده ، هى العمل لصيانة السلام وإدامته ، سواء أكان ذلك بين أفراد الأمة الإسلامية ، أو بينهم من جانب والشعوب الأخرى غير الملحدة من جانب آخر .

والإسلام لا يحمل على الإيمان بعقيدته ، ولا يكره الناس عليها . يقول الله تعالى : « لا إكرَاه فى الدين[3] » .. وإذا كان يبعد القسر والإكراه فى نشر عقيدته ، فمعنى ذلك : أنه ليس للمسلمين — وهم الجماعة التى تعتقد بالاسلام — من سبب يدعوهم إلى الاعتداء على غيرهم . وهذا منبثق من خصائص تجمعهم وتكتلهم . والمسلمون إذن من أجل ذلك مطالبون من إسلامهم بعدم الاعتداء ، ثم بالمساهمة فى بقاء السلام ، وعدم تعرض العلاقات الدولية للقلق والاضطراب .

ولكن الإسلام إذ يطلب منهم ذلك ، يطلب منهم فى الوقت نفسه أن

---

(١) البقرة : ٢٠٨ .
(٢) الاسراء : ٥٣ .
(٣) البقرة : ٢٥٦ .

يقاوموا الاعتداء إن وقع عليهم من غيرهم . والاسلام بذلك يسير مع منطقه ومبدئه ، وهو صيانة السلام . إذ مقاومة الاعتداء وسيلة أخرى لحفظ السلام ، واستقرار العلاقات البشرية . يقول الله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم[1] » .. ويقول : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به[2] » .

ويؤكد حرص الإسلام على السلام العام لذاته ، أنه إذ يطالب من المسلمين هنا دفع الاعتداء عليهم ، يطلب عدم تجاوز الحدود والصورة التى وقع بها ، فلا يتجاوز رد الاعتداء من المسلمين مثل ما وقع عليهم ، ولا يتجاوز المعتدين إلى غيرهم من بنى جنسهم .

يقول تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين[3] » .. ويقول تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى[4] ... » .

ويزيد فى تأكيد هذا الهدف السلمى للإسلام أنه يطلب من المسلمين فى حال القيام برد الاعتداء والاشتباك مع غيرهم أن يقبلوا السلام منهم عندما يعرضونه عليهم . يقول المولى سبحانه : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله إنه هو السميع العليم[5] » .

وإذن صيانة السلام هى التى تحمل المسلمين — فى نظر الإسلام — على دفع الاعتداء ورده ، وليس سبب ذلك فقط رد الاعتداء لأنه اعتداء .

الإسلام هنا فى جانب السلام العالمى محدد واضح . يطلب أولا من المعتقدين

---

(١) البقرة : ١٩٤ .
(٢) النحل : ١٢٦ .
(٣) الممتحنة : ٨ .
(٤) المائدة : ٨ .
(٥) الأنفال : ٧١ .

به أن يصونوا السلام العام . فإن أوذوا فى سبيل صيانته دفعوا الإيذاء عنهم بمثل الصورة التى وقع فيها ، وعندما يدفعون الإيذاء يجب أن لايخرجهم دفعه عن حد الاعتدال والعدل ، ثم إذا عرض عليهم الكف وعدم الاستمرار فى الاشتباك مع من يناصبونهم العداء قبلوا هذا العرض حباً فى السلام نفسه .

وفقط يحذر الإسلام المسلمين — صيانة للجماعة الإسلامية نفسها — ألا يقبلوا موالاة من اعتدى عليهم بعد الكف عن الاشتباك . لأن المعتدى لايؤمن جانبه مرة أخرى وبالأخص إذا أفظع فى الاعتداء . يقول الله جل شأنه : « إنما يَنْهَاكُمُ اللهُ عن الذين قَاتَلُوكُمْ فى الدِّين ، وأخرَجُوكُمْ من دياركم ، وظَاهرُوا عَلى إخراجكم أن تَولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون[1] » .

ومع شدة حرص الإسلام على السلام العالى إلى هذا الحد الذى نراه لايريد للمسلمين أن يستذلوا فى سبيله . بل يجب عليهم أن يحافظوا على السلام ، وعلى كرامتهم معاً . يقول الله جل شأنه : « فلا تَهِنُوا وتدعُوا إلى السلم وأنتم الأعلون وَاللهُ معَكُمْ وَلَن يتركم أعمَالكم[2] » .

---

(١) الممتحنة : ٩ .

(٢) محمد : ٣٥ .

المسلمون والشعوب الأخرى

إذا كان الإسلام يحرص على السلام العالمى مع الشعوب كلها ، فإن حرصه يشتد ويتضح إذا تأملنا فى نظرته لغير المسلمين ، ممن يؤمنون برسالة السماء ، ولا ينكرون وحى الله ، وإن اختلفت صور إيمانهم عن إيمان المسلمين .

يحدد القرآن الكريم هذه النظرة فيما يختص باليهود فى قول الله تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون[1] » .

وفيما يختص بالمسيحيين يقول جل شأنه : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ، مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون[2] » .

ويتحدث القرآن نفسه عن المسلمين وموقفهم هنا إذ يقول مخاطبا الرسول الكريم : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق[3] » .

ونظرة المسلمين إذن إلى غيرهم من هذه الشعوب نظرة الشريك إلى شركائه فى الإيمان بالله ، والعمل بالرسالة الإلهية التى لا تختلف أصولها العامة عن رسالة إبراهيم عليه السلام .

---

(١) المائدة : ٤ .
(٢) المائدة : ٤٦ ، ٤٧ .
(٣) المائدة ٤٨ .

ويجيب القرآن أيضاً عن سر الاختلاف بين أصحاب هذه الرسالة السماوية ، بعد إيمانهم بوحي الله — يقول المولى جل وعز : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً ، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون [1] » .

فتعدد هذه الشعوب ليس للخصومة والهدم ، وإنما للتسابق إلى الخير ، والعمل لخدمة الصالح العام ، واختبارها فيما بينها فى هذا التسابق .

هذا الأساس المشترك فى الاعتقاد من شأنه أن يبيح تبادل العلاقات والمنافع ، ويجيز التعامل بين المسلمين وهذه الشعوب فى دائرة واسعة ، حتى فى دائرة الاشتراك فى رد عدوان عام يهدد الرسالة الإلهية عامة .

يقول الله فى هذا الشأن : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان [2] » .

فإلى هذا الحد من التدخل فى المعاملات يبيح الإسلام للمسلمين أن يتعاملوا مع غيرهم من أهل الكتاب . وليس التعامل حينئذ مقصوراً على الجانب الاقتصادى ، ولا التبادل وقفاً على الجانب الثقافى أو الفنى ، بل يتجاوز كل ذلك إلى خاصة الطعام والارتباط بالمصاهرة على النحو الذى رسمه القرآن . أما العقود والعهود ، فالإسلام يوجب على المسلمين أن يوفوا بها فيما بينهم ، وكذا بينهم وبين غيرهم . يقول الله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود .. [3] » .. ويطلب إذن الوفاء بها على الإطلاق أيا كان الجانب الذى ارتبطوا به .

---

(١) المائدة : ٤٨ .
(٢) المائدة : ٥ .
(٣) أول المائدة .

ولو أن غير المسلمين من اليهود والمسيحيين كان لا يسارع إلى الإثم والعدوان أو لا يغلو فى تخريج معتقده فيرتكب بناء عليه أخطاء فى علاقته بالمسلمين ـ لكان موقف المسلمين موقفاً لاحذر، ولا ريبة فيه ، ولكان هناك ترابط مستمر، وتعامل مستمر ، وتعاون مكفول .

ولكن الأمر فى بعض الأحوال قد يتطلب الحيطة من المسلمين فى علاقتهم بغيرهم . وهى تلك الأحوال التى يساء فيها إلى عقيدة المسلمين ، أو إلى جماعتهم أو فريق منهم . يقول الله تبارك اسمه : « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل[1] » .. ويقول : « وترى كثيراً منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يعملون[2] » .

عندما يظن ذلك ظناً راجحاً يطلب الإسلام من المسلمين الحذر ، وعدم التوسع فى الصداقة والتوادد . وهذا شىء طبيعى يقره المنطق وقانون العدالة الإنسانية . يقول الله فى هذا الشأن فى كتابه الكريم مخاطباً المؤمنين : « إنما وليكم الله ورسوله ، والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله ، والذين آمنوا ، فإن حزب الله هم الغالبون . يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً ، من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين[3] » .. وبذلك ينصحهم أن يعتكفوا فى دائرتهم الخاصة ، دون موالاتهم لغيرهم .

ولا يطلب منهم عندئذ تصحيح الأوضاع عند غيرهم . بل كافيهم الاحتفاظ بوجودهم ، وكرامتهم : « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل

---

(١) المائدة : ٧٧ .
(٢) المائدة : ٦٢ .
(٣) المائدة : ٥٥ ـ ٥٧ .

إذا اهتديتم ، إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون[1]» .

الإسلام فى علاقة المسلمين بغيرهم ممن يشاركونهم الاعتقاد بالله ، والوحى والرسالة ، يقدر هذه الصلة الوطيدة ، ويؤسس عليها جواز المعاملة والترابط إلى درجة بعيدة المدى ، ولكن حرصاً منه على جماعة المسلمين — فى كيانهم وكرامتهم — ينصحهم بأخذ الحيطة منهم إن تحسسوا منهم نوايا عدوانية ، أو استخفافاً بعقيدتهم الإسلامية . وتبدو هذه الحيطة فى طلب احتفاظ المسلمين بعضهم ببعض ، وموالاة بعضهم لبعض . ولا يطلب منهم أن يقتحموا الديار على غيرهم ليقيموا فيها أوضاعاً تصحح الأوضاع القائمة بينهم ، إذا ما رأوا فيها الانحراف وعدم الاستقامة .

الإسلام كما ينشد السلام الدائم ، ينشد الحرية بين الشعوب المحبة للسلام ، وهى شعوب الإيمان بالله ، ويحرص عليها ، وينفر من الاعتداء ويقاومه ، ويطلب التعاون ويكفل بقاءه بين الجماعات المحبة لله والمؤمنة به .

---

(١) المائدة : ١٠٥ .

المسلمون أمة واحدة

يقول الله تعالى : إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون[١] » .. المسلمون جماعة واحدة ، ومهما تعددت أفرادهم وشعوبهم ، يجتمعون على عبادة رب واحد : « الله الذى جعل لكم الأرض قراراً ، والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين[٢] .. « إلهكم إله واحد ، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون[٣] .

وكما يجتمعون على عبادة رب واحد يجتمعون على وحدة فى الصلاة بين بعضهم بعضاً ، ووحدة فى الفعل والترك فيما يتصل بخير أنفسهم وخير جماعتهم ، ووحدة فى طاعة الله ورسوله وفيما جاء عن الله ورسوله : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم[٤] » .

لا يوجد بينهم شعور الجنس ولا القبيلة ، كما لا تفصل بينهم حدود المكان وأحداث الحياة . ويجمع بينهم الإيمان . وبالإيمان وحده تلغى الحواجز التى وراءه . والمؤمنون والمؤمنات فى أى مكان وزمان ، وفى أى حال ، وفى أى شعب وقبيلة بعضهم أولياء بعض ، يتبعون منهجاً واحداً ، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأداء فروض العبادة التى فرضت ، والامتثال لله ولرسوله فيما ينصحهم به لأنفسهم وفى علاقات بعضهم ببعض . ربكم رب واحد ، ومنهجكم منهج واحد ، وغايتكم فى الحياة واحدة ، وسبيلكم إليها واحد أيضاً . أنتم جماعة من الناس ، لا مجموعة من الشعوب والدول ، وأنتم بشر لا ملائكة . لكم أهواؤكم وميولكم .

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .
(٢) غافر : ٦٤ .
(٣) النحل : ٢٢ .
(٤) التوبة : ٧١ .

ولكن الإسلام ، صوناً لجماعتكم من الانحلال ، وحرصاً على بقائها ذات شخصية واستقلال — يطلب إليكم أن لا تكون ميولكم مهما اشتدت وطأتها على نفوسكم هي القاعدة في الفصل في شؤونكم ومستقبلكم . يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ، إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون[1] » .. فبين الأبناء من جانب والآباء والإخوان من جانب آخر من أوصر القربى ، مايؤكد الميل إلى امتثال أحد الطرفين للآخر فيما يرى أو يعمل أحد الطرفين . ولكن الإسلام نصح المؤمنين به تجنب رأى أقربائهم من الآباء والإخوان وتجنب عملهم ، وتجنب الاتصال الوثيق بهم إن استحب هؤلاء الكفر بمثل الجماعة المؤمنة وأهدافها على الطواعية والتسليم بها .

ليس إلا الإيمان ، وليس إلا الاشتراك فيه . هو وسيلة القربى ، ووسيلة التوادد ، ووسيلة طاعة فرد لآخر ، ووسيلة استماع النصح من فرد لآخر ، وما عدا ذلك من العلاقات في مرتبة لاتزاحم مرتبة الاشتراك في الإيمان ، فضلا عن أن تسودها .

تكوين الجماعة الاسلامية والمحافظة عليها :

هذا هو إسلامكم في تكوين جماعتكم ، وفي المحافظة على شخصيتكم كأمة تواجه جماعات وأمم أخرى ، فبينكم وبين بعضكم : عبادة رب واحد ، وانتهاج منهج واحد في الحياة ، والسعي لغاية واحدة . وليس في هذا المنهج الواحد ، شعوبية ، ولا قرابة ذوى قربى ، ولا تحقيق مصلحة فريق منكم دون مصلحة الفريق الآخر ، ولا قبلية ، ولا حزبية ، ولا تقدمية ورجعية .

وفي موقفكم ، كجماعة لها شخصيتها واستقلالها في المنهج والغاية ، من جماعة أخرى لاتدين بمنهجكم ولا تبغى غايتكم ، ينصحكم إسلامكم باتباع خطة السلم وإقرار مبدئه في نفوسكم ، يقول القرآن الكريم :

---

(١) التوبة : ٢٣ .

يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين[1] » .. فأكد القرآن السلم كمبدأ عام أمر المسلمين باتباعه فقال : «ادخلوا فى السلم كافة» .. وأكده بأن يحلوه فى قلوبهم ونفوسهم ولا يقفون به عند النطق بأفواههم . فقال : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » .. إذن عمل الشيطان هنا هو الإغراء على الخروج على مبدأ السلم . فإذا نهى القرآن عن اتباع خطواته كان معناه النهى عن اتباع الإغراء النفسى بالخروج على السلام . وفى ذلك تأييد لإقرار روح السلام فى نفوس المؤمنين .

ولكن فى الوقت نفسه حذر المسلمين من أن يتخذوا من غيرهم خواص يثقون بهم ويؤثرونهم فى اتباع الرأى على مشاركيهم فى الإيمان ، حذرهم من ذلك حتى لا يضاروا فى توجيههم ، وفى الاحتفاظ بشخصيتهم . فقال : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون[2] » .

أيها المسلمون ... بناء قوى فى جماعتكم يقوم على الإيمان لغاية لا تتخلف وهى اتباع رسالة الخالق ، وصلابة فى موقفكم ضد تآمر عدوكم عليكم ، وحرص على السلم إن جنح غيركم لها . تلك هى الحدود التى رسم بها الإسلام استكمال شخصيتكم . والإيمان بها لا يتجزأ ، والعمل على تنفيذها لا يقوم فى وقت دون وقت .

لكم شخصيتكم الإسلامية ، فلا هى شرقية ولا غربية ، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض .

---

(١) البقرة : ٢٠٨ .

(٢) آل عمران : ١١٨ .

قوة المسلمين فى ولاء بعضهم لبعض

يقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض[1] » .. ويقول رسوله الكريم : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » هذا هو نداء الإسلام للمسلمين للإبقاء على علاقات الأخوة والمودة والولاء بين بعضهم البعض . إذ فى الإبقاء على علاقات المودة والأخوة والولاء إبقاء على شخصية المجتمع وعلى أهدافه وغاياته . وهى أهداف وغايات تتصل بسيادتكم . وسيادتكم فى عدم طواعيتكم لمن لا يؤمن باتجاهكم ودينكم : « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم[2] » .. يقول ذلك القرآن الكريم تحذيراً من تفتت الجماعة ومن وهنها إذا ما اتبعت ودانت بالولاء لمن لا يؤمن بإيمانها فى الحياة .

إن المسلمين جماعة قامت على مبدأ الإيمان بالله ، وناضلت فى سبيل الاحتفاظ به ، وعرفت بين الجماعات الأخرى بأنها الجماعة التى أسلمت لله ولرسوله . جماعة هذا وضعها من الطبيعى أن يكون مستقبلها مرتبطاً بما ارتبط به قيامها من الإيمان بالله والنضال والكفاح فى سبيله : « **لا يصلح امر هذه الامة الا بما صلح به اولها** » .

والإيمان بالله ليس شعاراً منفصلا عن المجتمع الإسلامى ، بل هو حقيقة فى نفس كل مؤمن بالإسلام ، تدفعه إلى العمل وفق ماجاءت به رسالته وهى رسالة الأخوة والمحبة والتعاون ، ورسالة المشاركة فى دفع الاعتداء ، وفى صيانة المجتمع من أن يهن ويضعف .

ولا شىء أقوى فى هدم كيان المجتمع من أن تتوزع أفراده بين مثل مختلفة ومذاهب متفرقة واتجاهات متباينة . والذى يعمل على هدم كيان مجتمعنا هو الذى يدعو إلى الولاء لغير أفراده ، وهو الذى يدعو إلى الايمان بما لا يؤمن به أفراده .

---

(١) التوبة : ٧١ . (٢) آل عمران : ٧٣ .

وبالأخص إذا كان مايدعو إليه يتنافى مع مايدين به المجتمع ومع مايتجه إليه فى اعتقاده وإيمانه .

وإذن أمارة المخلص لهذا المجتمع ، المؤمن بأهدافه ، الداعى حقيقة إلى استقلاله وعزته ، هو ذلك الذى يعلن الولاء بقلبه وفى دعوته إلى الله ورسوله . هو الذى لا يشاق الله ورسوله . ومن يشاقق الله ورسوله . . هو الذى لا يتحدى الله ورسوله ، مهما كانت البواعث والدوافع . « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه[1] » .

إننا نعرض هنا فى هذا المجال عاقبة الذين يحادون الله ورسوله . ونحن لانعرض ذلك متنبئين ولا مستنتجين ، إنما نعرض كلام الله ، وقوله الحق والصدق : « إن الذين يحادون الله ورسوله كُبتوا كما كُبت الذين من قبلهم[2] » .. ومارمى إليه هذه الآية هو : أن نهاية أمر الذين يحادون دعوة الحق ، وهى دعوة الله ورسوله هى الكبت والفناء ، وأن مصيرهم إلى التلاشى والزوال . وهذا وعد الله ولن يخلف الله وعده .

ولعل من يحاد الله ورسوله فى دعوته فى مجتمعنا الإسلامى يكون قد خدع بعزة غيره وبما له من سلطان وسطوة . ولكن سيكون المآل هو المآل . ستبقى العزة لله وسيكون الفناء لغيره : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً[3] » .

مجتمعنا لاهو شرقى ولا هو غربى . هو مجتمع إسلامى له نظامه وله خواصه وله توجيهه :

---

(١) المجادلة : ٢٢ .
(٢) المجادلة : ٥ .
(٣) النساء : ١٣٩ .

نظامه : يقوم على عدم الاعتداء ولكنه يطلب دفع الاعتداء : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .. « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم.. » .. ينصح بولاء أفراده بعضهم لبعض ، ويكره أن يعطى أحد من أفراده ولاءه لغير المؤمنين معه : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » .. والشرق والغربى فى نظره سواء . كل يكفر بما نؤمن به من مثل وقيم ، كل لا يفى بما يعد به ، كل لا يرحم إذا سيطر : « لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر[1] » .

والإسلام هو أساس نظام هذا المجتمع ، لم يقف من هؤلاء موقف المهادنة ، فضلا من موقف طلب الوفاء والتبعية لهم . بل كان موقفه هنا هو أن طلب من المؤمنين أن يكونوا حذرين يقظين منهم . فإذا واتت الفرصة لإضعافهم فالواجب انتهازها حتى لا يطل شر واحد منهم من جديد على مجتمعنا المستقل فى نظام توجيهه وفى ترابط أفراده على أسس من رسالة السماء : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون[2] » .

ليس أضر علينا من فرقة ، وليس أجدى لنا فى صراعنا مع الشرق والغرب من وحدة . إن الشرق والغرب ، كلاهما يبغى بما يبشر به هذا وهناك فى كل مكان فى مجتمعنا أن يثير فرقة وعصبية لمذهب ، ويدعو لولائه ثم لتبعيته وطاعته :

« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » . هو كتاب واحد لأصحاب إيمان واحد ، ولأصحاب غاية واحدة هى البقاء والمصير والفرقة بعد ذلك هى من الشيطان ، هى من شهوات النفس : « إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ، الشيطان سول لهم وأملى لهم »[3] .

---

(١) آل عمران : ١١٨ .
(٢) الأنفال : ٥٧ .
(٣) محمد : ٢٥ .

الاسلام أكبر عدو للاستعمار

١ — إذا وصف الإسلام بأنه دين الحرية فذلك حق وواقع . فقد طلب من الإنسان أن يتجرد من الحزبية والهوى وتقاليده الماضية إذا نظر وحكم . وطلب من القائمين بأمر الدعوة الإسلامية ألا يكرهوا الناس على قبول دعوتهم ، وأن يعرضوا عليهم أمرها فى رفق ولين : فلا إكراه فى الدين بعدما تبين الرشد من الغى.

وهو إذ يطلب من الإنسان ألا يتقيد فى تفكيره وأحكامه ، واتجاهه فى الحياة إلا بأوضاع المنطق السليم ، وبحدود النظرة الإنسانية العامة — يترك له مجالاً واسعاً لنشاطه الإنسانى حتى يكون عمله مثمراً لنفسه ولجماعته .

وإذ يطلب الإسلام أيضاً من القائمين على أمر الدعوة الإسلامية ألا يحملوا الناس قسراً على الأخذ بتعاليم الإسلام وعلى الإيمان بما أتى به الرسول ﷺ ، يثق تمام الثقة بأن الإيمان عن رضى واقتناع دافع قوى لصاحبه فى أن يكون من العوامل الإيجابية فى توجيه نفسه وتوجيه أمته إلى خيرهما .

حرية الإنسان مظهر لكرامته ، وهى الفارق بينه وبين غيره من الكائنات التى تنمو أو تتحرك فى هذا الوجود . وهى أداته كذلك للإنتاج والعمل الإيجابى. والفرد الحر فى الشعب الحر مساهم بنصيب وافر فى حضارة شعبه ورقيه وتطوره . وما افترق شعب عن شعب آخر فى مستوى التفكير والمعرفة ، والإنتاج للحضارة البشرية إلا بمقدار حرية الفرد فى الشعبين .

والإسلام إذ يؤكد حرية الإنسان حتى فى قبوله الدعوة الإسلامية : ينفر نفوراً شديداً من العوامل التى تضيق مجالها على الإنسان ، أو التى تحول دون تمتع الفرد بها على الإطلاق . ولا يقف الإسلام من هذه العوامل موقف النفور فحسب ، بل

يرى فى التخلص منها والعمل على إضعافها نوعاً من القربى إلى الله ، وأى قربى . ويتجلى ذلك واضحاً فى الخطة التى رسمها لتحرير الرقيق . ثم حرصه على حرمه الملكية الفردية ، إلا أنه فى الدائرة الإنسانية لم يرض عن استمرار الرق وتملك الإنسان للإنسان ، بل شجع العتق وفك الرقاب فى صور مختلفة ، وجعل ذلك من أعظم الأعمال التى يتقرب بها الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى .

٢ — فأى مظهر من مظاهر التضييق على حرية الناس هو إذن نوع من الاعتداء على كرامة الإنسان والاستخفاف بقيمته الإنسانية . والاستعمار فى أبسط صوره وأخف مظاهره سلب لحرية الأفراد والجماعة . وإذا سلبت حرية الناس فإنهم يكونون موجهين حينئذ للسبيل التى يرسمها ذلك المستعمر مضطرين مكرهين . وهى سبيل تؤدى قطعاً إلى غاية واحدة . استغلال هؤلاء الناس ، واستغـــلال نشاطهم الإنسانى لمصلحة المسيطر عليهم . يسوقهم المستعمر سوقاً إلى تحقيق أهدافه الاقتصادية سواء حملهم على الإنتاج لمصلحته ، أو على استهلاك ما يزودهم به من مصنوعاته ، أو فى دفعهم إلى الصفوف الأمامية فى الحروب لتحقيق أغراضه . وهم إذن آلات بشرية فى تحريك عجلة اقتصادياته ورفع مستوى معيشته على حساب مستوى معيشتهم أنفسهم وعلى حساب كرامتهم وتفكيرهم الإنسانى .

والاستعمار لذلك ضرب من ضروب الظلم . وما تقييده حرية المستعمَرين فى نشاطهم وإنتاجهم وتفكيرهم إلا آية واضحة للاعتداء عليهم فى سبيل تسخيرهم واستغلالهم .

والإسلام كما عرف بأنه دين الحرية عرف أيضاً بأنه دين العدالة ورد الاعتداء : « إن الله يأمرُ بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى[1] » .. فلا يقبل من المسلمين الظلم والاعتداء : «ولا تعتدوا إن الله لا يحبُّ

(١) النحل : ٩٠ .

المعتدين[1] » . ولايقبل كذلك أن يُظلموا و يُعتدى عليهم . وإذا نهاهم عن الظلم والعدوان فإنه يأمرهم بدفعه ورده : « والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدُوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم[2] » .

ولايأمر المسلمين بدفع الظلم والعدوان عن أنفسهم فقط ، وإنما يأمرهم بنجدة المظلومين إذا استنجدوهم . وعلى المسلمين حينئذ أن يعاونوه على دفع الاعتداء عنهم وإن كان المعتدى والمعتدى عليه يشتركان فى دين واحد أجنبى عن الاسلام . ولأن الإسلام إذ يأمر المسلمين بذلك يقصد إلى تمكين صاحب الحق من حقه فى الحياة لايرضى أن تسلب حقوق الناس كما لايرضى أن يحجر عليهم فى عقائدهم ويكرهوا على أمر يتنافى مع كرامة الإنسان .

الاستعمار ظلم واعتداء ، وسلب لحقوق الناس ، وحجر وتضييق على حرية الإنسان ، وإكراه للأفراد على ما لايتفق والفطرة الإنسانية التى كرمها الله : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا[3] » .

والإسلام يناوىء الاستعمار لأن الإسلام كما ذكرنا يناوىء الظلم والاعتداء .

٣ — والمسلمون جميعاً مطالبون من قبل الإسلام بالوقوف صفاً واحداً فى وجه الاستعمار . وإذا طلب إليهم أن يعاونوا غيرهم فى دفع الاعتداء فإنهم مطالبون بالأولى بدفعه إن وقع على فريق منهم . ليس لأنهم مؤمنون بدين واحد ولكن أيضاً لأن وطنهم وطن واحد . إذ هذه الحدود الوهمية بين المجموعات الإسلامية من صنع المستعمر وليست مما يتفق مع تعاليم الإسلام . إذ الشأن فى هذه الحدود والفواصل أن تضعف وحدة الجماعة الإسلامية وتكتل المسلمين . والإسلام ينشد

---

(١) البقرة : ١٩٠ .
(٢) البقرة : ١٩٤ .
(٣) الاسراء : ٧٠ .

هذه الوحدة ويدعو إلى التآخي والتآزر : «إنما المؤمنون إخوة[١]» .. «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض[٢]» .

حاول المستعمرون بهذه الحدود والفوارق أن يقطعوا رقعة العالم الإسلامي قطعاً وأن يوحوا إلى كل مجموعة تقيم على قطعة منها أنها تختلف مع مجموعة أخرى فيما عبروا عنه بالقومية . وأن يجعلوا القومية بدل الإسلام هدف المجموعة الواحدة تسعى إلى الحرص عليها وحدها كما تنشد تحقيق الاستقلال بها .

وهكذا خلق المستعمرون من الأمة الإسلامية شعوباً وقبائل . مع أن ما امتن به الله على المسلمين هو أن جعل من شتيتهم كتلة واحدة ، ومن شعوبهم وأجناسهم أمة واحدة : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً[٣]» .. « وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم[٤]».

وهكذا لو فتشنا في الاستعمار لوجدناه عدو المبادىء الإسلامية ، ويتنافى صراحه مع أهداف الرسالة التي جاء بها رسولنا ﷺ . وهو إذ يتنافى مع المبادىء الإسلامية يتنافى كذلك مع المبادىء الإنسانية . فليس في مقياس التفكير الإنساني السليم مايقدر الظلم ويقومه أو يعتبر سلب الحقوق الإنسانية من الأهداف التي يسعى إليها الناس . كما أنه ليس من منطق الإنسان الصحيح أن يقر اعتداء الإنسان على الإنسان في حريته ، أو ملكه أو أي أمر آخر من حرماته .

ولهذا أوضحنا الآن تنافي الاستعمار مع أهداف الرسالة الإسلامية ومبادىء الدين الإسلامي فإننا لا نرى أن مقاومة المستعمر مع ذلك من فروض الكفاية في

---

(١) الحجرات : ١٠ .
(٢) التوبة : ٧١ .
(٣) آل عمران : ١٠٣ .
(٤) الأنفال : ٦٣ .

الجماعة الإسلامية . بل مناهضة الاستعمار واجب عينى على كل مسلم آمن حقاً برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، أينما كان ، وإلى أى جنس ينتسب . والصورة التى يناوىء بها المسلم الاستعمار تحددها سنه ، واستطاعته المادية والفكرية : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً[1] » .

« انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون[2] » .

« أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون[3] » .

المسلمون باشتراكهم فى العقيدة مطالبون بالانسجام بعضهم مع بعض فى الشعور والسعى فى تحقيق غايتهم فى هذه الحياة ، وهى أن يكونوا أعزاء على أنفسهم وعلى غيرهم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

---

(١) النساء : ٧١ .
(٢) التوبة : ٤١ .
(٣) التوبة : ١٦ .

مسلمون وإسلام

يخطىء من يعرض الإسلام ومبادئه من حياة المسلمين وسلوكهم الآن : فحياة المسلمين الحاضرة تبتعد فى كثير من مظاهرها عن أهم المبادىء والغايات الإسلامية . ويفصل بين الطرفين مجاز ليس من السهل غض النظر عنه أو اجتيازه فى وقت قصير .

يسيطر على المسلمين اليوم اتجاه التواكل. وهو اتجاه سلبى فى الحياة . يسيطر عليهم القعود والتراخى عن العمل ، والاكتفاء من الحياة بلقمة العيش الضرورية ، وإن حصلوا عليها بأسلوب غير كريم . فهموا التوكل على الله تواكلاً ، وظنوا أنه كافيهم فى الحياة أن ينطقوا بالتوكل على الله ، دون عمل مصاحب له فتدين لهم الحياة ، وتتفتح أبوابها ، وإذا بهم فى الصف الأول فى قافلة الحياة . ليس التوكل على الله إلا عاملا إضافياً مساعداً لعمل الإنسان الأصيل ، إنه عدة روحية ، يستعين بها الإنسان عند سعيه الخاص لبلوغ أهدافه فى الحياة . فالله سبحانه إذ يقول : «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» . «وتوكل عَلَى اللهِ وَكفى بالله وَكيلا» .. تذكر أيضاً : « ومن جَاهَد فإنما يُجاهد لنفسه ، إن الله لغنى عَن العَالمين » .. « ليُجزِى الذين أَسَاءوا بما عَملوا ، وَيُجزى الذين أحسنُوا بالحُسْنى » .

التوكل على الله إذن قوة أخرى بجانب إرادة الإنسان وإيجابيته فى العمل ، ولا تكون قوة إلا لذلك الإنسان الذى سلك طريق الهداية الإلهية فيما يعمل ، ويسير نحو غايته . والذى يطلبه الإسلام من الإنسان هو مباشرة العمل أولاً ، والتوكل على الله فيه . وهو بالتوكل يطلب الرعاية الإلهية ليثمر عمله ويوصله إلى مطلوبه .

إن الله كرم الإنسان ، ولا يكون تكريمه إياه فى جعله طبيعة سلبية فى

حياته ، وإنما يجعله قوة فعالة مسيطرة عليها . والإيمان بالله والتوكل عليه ليس مصدر إضعاف لهذه القوة الفعالة ، بل مصدر تنميه لها فى دفعها وفى توجيهها .

وهذه الظاهرة ، وهى ظاهرة التواكل فى حياة المسلمين الآن تبعد هذه الحياة عن أن تكون مصدر تعريف للإسلام وتصوير لمبادئه .

يسيطر على المسلمين اليوم أيضاً اتجاه الفرقة والانقسام : يميلون إلى الانقسام فى فهم الإسلام ، وإلى الانقسام فى الرأى فى الحياة ، وإلى الانقسام فى المجال الضرورى لكيانهم ، وهو مجال الألفة والأخوة ، يميلون إلى الانقسام فى هذا كله ويحاولون إذا انقسموا أن يبقوا فى دائرة انقسامهم بصورة لاتدع مجالاً للالتقاء ، ولا سبيلا إلى التفاهم والإخاء من جديد .

وقد نسوا أنهم إن اختصموا فى شىء واختلفوا فيه ، أوجب عليهم الإسلام ، أن يردوا ما اختصموا فيه إلى الله ورسوله ، إلى كتاب الله وسنة رسول الله ، حتى لا يضعفهم النزاع ، ولا يذهب بهم إلى ماذهب بالأولين قبلهم . يقول الله تعالى : « فإن تنازعتم فى شىء فردُّوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا[1] » .

ويقول جل شأنه فى نهى المسلمين عن المبالغة فى الفرقة والخصومة : « ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا . . واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم[2] » . . ويقول : « إنَّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لستَ منهم فى شىء[3] » . . « منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ، ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، كل حزب بما لديهم فرحون[4] » .

---

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) آل عمران : ١٠٥ .
(٣) الأعراف : ١٥٩ .
(٤) الروم : ٣١ ، ٣٢ .

ومع أن كتاب الله وسنة رسوله بينهم تسيطر على المسلمين فى آونتهم الحاضرة ظاهرة الفرقة والتحزب . وبذلك احتكموا إلى الهوى والعوامل الدخيلة عليهم ، ولم يحتكموا إلى هداية الله . وبذلك تبتعد حياة المسلمين اليوم عن أن تعبر عن ما فى الإسلام من مبادىء ، وما رسمه كغاية للجماعة الإسلامية .

يمتن الإسلام على المسلمين بأنه جمع بين قلوبهم وألف بين شتاتهم بعد فرقة جامحة ، وطلب منهم بعد أن أوصل حالهم إلى هذه الحال أن يحرصوا عليها حتى تبقى لهم قوتهم وعزتهم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .. فكيف يكون حال مسلمى اليوم معبراً عن صنيع الإسلام وعن رأيه ؟

* * *

يسيطر على المسلمين اليوم النزوع إلى المادية فى الحياة ، وتأرجحت بذلك القيم المثالية فى نفوسهم . لايسأل فريق من المسلمين عما ينزل بالفريق الآخر من عنت المستعمر ، ومشقة الحياة . بل يسعى كل فريق منهم لأن يضحى بالفريق الآخر فى سبيل ما يسميه سبيل : « السلامة » الخاصة : تبلد الشعور الإسلامى ، بل الشعور الإنسانى : بين طوائف المسلمين بعضهم بعضاً .

تحكمت المادية فى النظرة إلى التراث الثقافى الإسلامى ، وتاريخ الجماعات الاسلامية ، فأضحى هذا التراث من مخلفات الماضى المهلهل ، وأصبح هذا التاريخ قصصاً تنقصه روح الأحداث الكبيرة التى غيرت فى التاريخ وفى اتجاهاته .

كيف تتفق هذه النظرة المسيطرة على حياة المسلمين فى وقتهم الحاضر والقرآن الكريم يقول : « إنَّ هٰذه أمتكُم أمة واحدة وأنا ربكُم فاعبدُون[1] » ..

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .

«والعصر . إنّ الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات ، وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر» .. فربط بين شعور المسلمين ووحد في اتجاههم ، وهو أن يتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر ، وطالبهم بعمل الخير لصالحهم جميعاً ، وليس ذلك هو النزوع إلى المادية في الحياة .

ألا ! : إن الإسلام دين مصدره الكتاب المنزل وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ما تأكد منها وصح . ألا ! : إن حياة المسلمين المعاصرة تتأرجح بين مظاهر إسلامية واتجاهات أخرى بعيدة في مصدرها وغاياتها عن مبادىء الإسلام .

مبادىء الإسلام تكفل حقوق الإنسان

حقوق الإنسان التى تعلنها المؤسسات الدولية الحديثة فى قرننا العشرين هى تنازل من قوى لضعيف ، تنازل من مستعمر بقوة السلاح لمستعمر بسبب الجهل والفقر والمرض . وهى تنازل عن بعض امتيازات أوجدها لنفسه القوى بحكم قوته إلى ضعيف ظل فترة طويلة موضع استغلاله واستذلاله .

ومع ذلك فاعلان مايسمى اليوم بحقوق الإنسان من جانب تلك المؤسسات الدولية إن هو إلا تدوين نظرى لهذه الحقوق لايتخطاه إلى التطبيق العملى فى علاقة الطرفين القوى والضعيف . إن هو إلا تغطية للصورة الرهيبة للاستعمار حتى تنخدع الشعوب الضعيفة فترة أخرى فتلقى إليه بالزمام فى شبه أمان واطمئنان .

حقوق الإنسان التى تعلنها المؤسسات الدولية الحديثة فى عصرنا الحاضر محاولة لحل أزمة عدم الثقة بين القوى والضعيف ، والمستعمر وصاحب التقدم فى الصناعة والمتخلف فيها . فإعلان عدم التفرقة فى التعليم بين لون ولون من البشر ، وعدم التفرقه فى الحقوق المدنية بين سكان الوطن الواحد ، وعدم التفرقة فى الحقوق السياسية على أساس الجنس أو الرأى أو العنصر — هو فى واقع الأمر تجربة لعلاج بعض المشاكل الاجتماعية التى أوجدها الجشع والغرور بالقوة المادية والتقدم فى الحضارة الصناعية عند فريق من الشعوب التى تهزأ بالقيم الروحية الإنسانية .

أما الإسلام فلا يواجه نظامه أزمة مثل هذه الأزمة وهى أزمة عدم الثقة بين قوى وضعيف ، ولا يواجه حل المشاكل الاجتماعية التى يسببها الجشع والغرور بالقوة المادية . ولذا ليست تعاليمه الخاصة بالإنسان إعلاناً بحقوق الإنسان على نحو إعلان تلك المؤسسات الدولية الحديثة .

تعاليم الإسلام الخاصة بالانسان هى تعاليم تضع الإنسان مع الإنسان فى وضع متساو . تتيح الفرص العديدة لجميع أفراد المجتمع على السواء . تتيح لهم فرص العمل، فرص المعرفة والعلم ، فرص استثمار رأس المال وفرص اقتناء المال ، فرص القيادة فى المجتمع ، فرص العدل فى القول والحكم ، فرص المثول أمام المولى جل شأنه فى الصلاة ، فرص الاجتماع بعرفات فى الحج : الذكر والأنثى سواء ، والغنى والفقير سواء ، والصحيح والمريض سواء ، والشريف والحقير سواء . ويتمايز الأفراد فى المجتمع الإسلامى فقط بتقوى الله . « إنّ أكرمكم عندَ الله أتقاكم[1] » .

وتقوى الله تتمثل فى العمل الصالح المرتبط بإيمان القلب بالمولى جلّ شأنه .

الاسلام أقر للفرد حرية العمل « مَنْ عمل صالحاً فلنفسه ومنْ أساء فعليها[2] » .. حرية الاعتقاد « فمنْ شاء فليؤمن ومنْ شاء فليكفر »[3] . « لا إكراه فى الدين قدْ تبين الرشدُ من الغى »[4] .. حرية القول والتعبير ، ولكنه لا يرضى للإنسان أن يمارس هذه الحرية فيما يضره أو يضر مجتمعه .

ولذا أنكر العمل السيء وارتضى العمل الصالح : « منْ عمل صالحا منْ ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة »[5] .. وعاب الاعتقاد الردىء : « وإذا قيل لهم اتبعُوا ما أنزل الله قالوا بلْ نتبعُ ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدُون »[6] .. كما عاب الرأى السيء : « ولا يحيق المكرُ السيء إلا بأهله » .

الإسلام آثر للفرد حرية التعلم وتحصيل المعرفة ، ولكنه يدفعه إلى التعلم وتحصيل المعرفة « قلْ هلْ يستوى الذين يعلمُون والذين لا يعلمُون[7] » .

---

(١) الحجرات : ١٣ .
(٢) فصلت : ٤٦ .
(٣) الكهف : ٢٩ .
(٤) البقرة : ٢٥٦ .
(٥) النحل : ٩٧ .
(٦) البقرة ١٧٠ .
(٧) الزمر : ٩ .

أقر للفرد الحرية فى ممارسة شؤون القيادة والرعاية : « كلكم راع».. فالفرد راع على نفسه ، ورب الأسرة راع على أسرته ، والحاكم راع فى حكومته . ولكنه أرادها قيادة يقظة واعية فربطها بالمسئولية الشخصية : « وكل راع مسئول عن رعيته » .. فمن حرية العمل ، والإيمان ، والاعتقاد ، إلى حرية التعليم وتحصيل المعرفة . وإتاحة الفرصة لمباشرة الرعاية الخاصة والعامة فى نظرة الإسلام ينبثق من مبدأ تكافؤ الفرص للجميع . وتعاليمه بعد ذلك هى خطوط عامة لضمان حسن التوجيه فى ممارسة هذا المبدأ .

وبجانب مبدأ تكافؤ الفرص للجميع ووضع الأفراد جميعاً على قدم المساواة فى الحرية والاختيار يأتى مبدأ العدل فى الفصل فى الخصومات : «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى»[1] .. والعدل فى المعاملة : «وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم[2] » ، ويأتى مبدأ الوفاء بالعهد « وبعهد الله أوفوا » . ومبدأ عدم الاعتداء : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[3] ..

وهى مبادىء يستوى فى التمتع بها جميع أفراد المجتمع ، ويلتزم القيام بها جميعهم كذلك . هى تمثل حقوق الإنسان الطبيعية وتحدد إطار نشاطه الخاص والعام فى المجتمع ، وتكفل له سلامة نفسه وماله ، وتقدم له الفرصة لممارسة نشاطه كإنسان حر كريم .

هى مبادىء تحول دون تسخيره فرداً أو جماعة ، ودون استرقاق فرد أو جماعة ، ودون التفرقة بينه وبين غيره على أساس من اللون أو الجنس أو الأقلية ، أو على أساس من الثروة أو الأصل فى النشأة . ولكن هى نفسها مبادىء يفضل الأفراد بعضهم على بعض فى مدى تمسكهم بها والتزامها . وبجانب هذه المبادىء التى

---

(١) الأنعام : ١٥٢ .
(٢) الشعراء : ١٨٢ ، ١٨٣ .
(٣) المائدة : ٢ .

تتيح تكافؤ الفرص وتسوى بين الأفراد فى الوضع الأدبى فى الحياة تاركاً لهم بعد ذلك تميز بعضهم على بعض على أساس من تعاونهم فى تطبيقها — جاء الإسلام بمبدأ آخر يتيح للإنسان أن يكون ذا فضل على الناس ، يتيح له أن يكون متفوقاً فى معنى الإنسانية ، يتيح له أن يسمو بنفسه عن وضع المتساوى مع غيره فى أداء مايجب عليه والتمتع بما يحق له أن يكون صاحب عطاء دائماً دون ترقب منه لأن يأخذ لقاء مايعطى .

هذا المبدأ هو مبدأ الإحسان . والإحسان فى التعبير: «قولٌ معْرُوف ومَغفرَة خيرٌ منْ صدقةٍ يتبعُها أذى»[1] .. والإحسان فى الإنفاق والرعاية : «وبالوَالدَيْن إحْساناً[2]» .. والإحسان فى المعاشرة: «فإمْساك بمعْرُوف أوْ تسْريح بإحْسان»[3] .

مبادىء الإسلام : مساواة فى الوضع فى الحياة ، ثم طلب للتفوق فى خصائص الإنسانية ومستواها الفاضل الرفيع. مبادىء الإسلام هى مبادىء تكفل للإنسان أن يكون إنساناً فى صفاته ، ويبقى إنساناً فى صلاته بغيره لايتحول إلى وحش طاغ أو مفسد باغ .

---

(١) البقرة : ٢٦٣ .
(٢) النساء : ٣٦ .
(٣) البقرة : ٢٢٩ .

حقوق الإنسان فى الإسلام

الإسلام رسالة الله للإنسان .. رسالة الله العليم الحكيم ، العلى القدير ، خالق السموات والأرض للإنسان أفضل الكائنات على هذه الأرض ، وأولى بالسيادة عليها من كل كائن سواه . وأوحى الله بهذه الرسالة للإنسان ليعرف قدر نفسه ، ويعرف قدر ما عداه من المخلوقات الأخرى ، ثم ليعرف طريقه فى الحركة والسعى : « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى »[1] .

أعلنت هذه الرسالة الإلهية قيمة الإنسان بين المخلوقات الأخرى فيما تذكره هذه الآية الكريمة : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »[2] .. وبذلك أوقفت الإنسان على قدر نفسه ، وقدر ما عداه .

ثم وجهت بعد ذلك نداءها للبشر جميعاً ، تعلن لهم مبدأ المساواة فى بشريتهم ، وبأنهم يقفون فى صف واحد أمام فرص الحياة ، وأمام كشف نعم الله فيها والانتفاع بها ، وأمام عبادة الخالق جل شأنه ، وأنهم إن تميز بعضهم على بعض بعد ذلك فليس لنسب أو شرف ، وإن تقدم بعضهم على بعض فى المنزلة فى الحياة فليس لاختلاف ذاتى فى طبائعهم . وإنما يتميزون ، ويتقدم أحدهم على الآخر بمقدار وضوحه فى السعى ، واستقامة طريقه فى الحياة وتجنبه الضلال والانحراف فيما يأتى به من فعل وتصرف .

جاءت هذه الآية الكريمة تخاطب الناس كافة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند

---

(١) طه : ١٢٣ . (٢) الاسراء : ٧٠ .

الله أتقاكم »[1] .. ولا أدل على إعلان المساواة بين الناس من بيان أنهم متساوون فى الأصل الذى خرجوا جميعاً عنه إلى هذا الوجود وتحددت به طبائعهم «إنا خلقناكم من ذكر وأنثى» .. ولا أدل على أن التمييز بينهم بعد ذلك منوط فقط بالحركة المستقيمة فى خط السير فى الحياة من قول المولى جل شأنه هنا فى هذه الآية : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . والإنسان إذا كان مكرماً فى طبيعته ككائن يسود ما عداه من الكائنات الأخرى ، فهو أشد تكريماً وأكثر قيمة ممن يشاركونه وجوده الخاص باتقائه الضلال فى سلوكه وتجنبه الانحراف فى مسعاه .

والإنسان بذلك مساو للإنسان فى الأصل والنشأة ، ومساو له فى القيمة والاعتبار ، ومساو له فى الحركة والسعى ، ومساو له فى خصائص الإنسانية من التفكير ، والتعبير ، وتكوين الرأى والإعلان عنه . ويفترق إنسان عن إنسان بعد ذلك فى أن هذا أساء استخدام خصائص الإنسانية ، وأن ذاك أحسن استخدامها ، وهذا ضل الطريق السوى ، وذاك اتقى الضلال وتجنب الانحراف فى طريقه .

* * *

تلك هى نظرة الإسلام إلى الإنسان . لكن الإسلام عندما جاء لم يجد فى المجتمع البشرى قضية المساواة بين إنسان وإنسان حقيقة واقعة . وإنما وجد استغلالا ، للإنسان من الإنسان ، وحيفاً فى المعاملة من الإنسان الإنسان . وانحرافاً فى النظرة من الإنسان إلى الإنسان .. وجد الإنسان يبـــاع ويشترى ويُتملك كما يتملك المتاع ، ويُشارك فى تملكه كما يشارك فى تملك العقار .. وجد الإنسان يستخدم عوضاً عن المال فى تبادل البيع والشراء للسلع وتبادل المنافع ..

---

(١) الحجرات : ١٣ .

وجد الرق .. ووجد لهذا الرق أصولا مقررة فى المجتمع الإنسانى يومئذ للتعامل بالرقيق .

جاء فوجد انحرافا طرأ على طبيعة الإنسان، فأوصى فى تعاليمه بتصفية انحراف الماضى فى استغلال الإنسان للإنسان : أوصى بعتق الرقيق ولم يدع منفذاً يرى من خلاله حمل الناس على عتقه إلا سلكه . فجعل عتقه مرة تقرباً إلى الله : « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة فك رقبة »[1] .. ومرة أخرى كفارة عن ذنب يرتكبه الإنسان : « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة »[2] .

وينظر الإسلام إلى الإنسان — تلك النظرة التى تقوم عليها تقرير مبدأ المساواة — وبما أوصى به من وصايا لتصفية رواسب الماضى فى الإنسانية من استغلال الإنسان للإنسان . . وبهذا وذاك لم تكن هناك مشكلة فى رأى الإسلام تسمى مشكلة « حقوق الإنسان » . لأن حقوق الإنسان لا تصل إلى مشكلة يتنازع فيها ، أو يرجى حلها إلا إذا كان هناك اعتداء بالفعل من إنسان على إنسان ، يمتهن إنسانيته ويجعله موضع استغلال .

* * *

وإذا كان فى يوم أن تحتفل الأمم المتحدة بذكرى إعلان حقوق الإنسان — فإن احتفالها بذلك يدل على أن المدنية الإنسانية الحديثة لم تنجح من قبل — حتى وقت قيام هذه الهيئة الدولية — فى رد اعتداء الإنسان على الإنسان ، وفى دفع استغلال الإنسان للإنسان. وربما يدل ذلك على أن : «حقوق الإنسان » مشكلة أوجدتها هذه المدنية نفسها بسبب تفوق بعض الشعوب على بعض لا فى خصائص الإنسان ، ولكن فى تطور الصناعة واستغلال الخامات فى تجميع

---

(١) البلد : ١١ — ١٣ . (٢) النساء : ٩٢ .

الطاقات والإعداد للقوة المادية ، فاستعمر القوى من هذه الشعوب الضعيف فيها ، كما استرق الإنسان الفرد فيما مضى فرداً آخر معه ضعيفاً .

ويرجى لهيئة الأمم المتحدة أن لا يكون احتفالها بذكرى إعلان حقوق الإنسان ، كسباً فقط لإيمان المستضعف من هذه الشعوب والمغلوب على أمره منها . وإنما نرجو مخلصين لها أن تترسم خطى الإسلام في تصفية رواسب الماضي البغيض يوم جاء ، وتعمل جادة على تخليص الشعوب الضعيفة من استذلال بقايا المستعمرين ، كما عمل الإسلام من قبل على تحرير الرقيق وتخليصه من استغلال المالكين له .

الإسلام دين الإنسانية : قدر كرامة الإنسان ، وصانها بتعاليمه من الإذلال . يقول جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن »[1] .

---

(١) الحجرات : ١١ .

فهرست

الباب الأول

شعائر العبادة وادب الأخلاق

شعائر العبادة ـ الأخلاق فى ادب القرآن
تصحيح مفاهيم ـ أخطاء مشهورة وتصحيحها

الفصل الأول

شعائر العبادة

صفحة

رمضان شهر الروح والايمان	١٥
الصوم وحدة للقلوب والمشاعر	١٨
مبادىء انسانية من الصوم	٢٢
الصوم كفاح وصبر	٢٦
المجتمع الصائم مجتمع يمتثل ولا يستسلم	٢٩
المجتمع الصائم ذو انسجام وارادة	٣٢
اثر الصوم فى حياة الصائم	٣٥
شبهات حول الصيام	٣٨
ماذا بعد رمضان	٤٢
شهر الحج	٤٥
الحج وحدة فى المشاعر والآمال	٤٨

الفصل الثانى

الأخلاق فى آداب القرآن

أخلاق الفرد نحو نفسه	٥٣
أخلاق الفرد نحو مجتمعه	٥٨
صلة الزوجية	٦٣
الأسرة .. صلة الأولاد بالوالدين	٦٨

صفحة

الأسرة .. صلة الاولاد بالوالدين ٧٣
الجماعة وتنظيم علاقة الأفراد فيها ٧٧
مبادىء انسانية من حياة الرسول ٨٢
التضافر والتعاون ٨٦
التـــواد ٩١
رعاية الجوار ٩٤
المروءة ٩٧
انكار الذات ١٠١
العزة والكرامة ١٠٤
فضيلة الصبر واثرها فى حياة الفرد والجماعة ١٠٨
الصبر عند الشدة ١١١
الصراحة والصدق ١١٥

الفصـــل الثالث

تصحيح مفاهيم

من إخطاء المسلمين فى فهم الاسلام ١٢١
اخطاء فى فهم معنى التوكل ١٢١
اخطاء فى فهم الرزق ١٢٤
اخطاء فى فهم معنى القرآن شفاء ١٢٧
اخطاء مشهورة وتصحيحها
غاية الزواج وهدفه ١٣١
قوامة الرجل على المراة ١٣٥

الباب الثانى

شخصية المســـلم فى ضميره وسلوكه
شخصية المسلم ـ اثر الضمير الدينى

الفصـــل الأول

شخصية المســـلم

اولا : شخصية المسلم ١٤٣
طبيعة الانسان فى حاجة الى توجيه الهى ١٥١

صفحة
١٥٧ الكرامة الانسانية فى دعوة الاسلام
١٦١ الاسلام واستقلال الشخصية
١٦٤ استقلال الشخصية لا يمنع التعاون
١٦٧ التحرر من الخرافة فى الاعتقاد
١٧٠ تحرر الفرد من انانيته
١٧٤ طريق التحرر من الخوف
١٨١ الانتاج وقيمته فى الحياة
١٨٥ العمل واستغلال الفراغ
١٩٠ القدوة الحسنة
١٩٤ الطريق الى التقدم

الفصل الثانى

اثر الضمير الدينى

٢٠٣ اثر الخشية من الله
٢٠٦ قوة الايمان
٢٠٩ آثار الضمير الدينى
٢١٤ الضمير الدينى واثره فى اداء الواجب
٢١٩ الضمير الدينى واثره فى اتقان العمل
٢٢٢ الضمير الدينى واثره فى توجيه الشباب
٢٢٧ التدين واثره فى المجتمع
٢٢٩ الضمير الدينى واثره فى تكوين الأسرة كجماعة
٢٣٤ الضمير الدينى واثره فى الاتحاد والشعور بالجماعة

الباب الثالث

المجتمع الاسلامى

الانتاج وقيمته فى الحياة
اولا : مجتمع الاسلام .. بناؤه وتطوره
ثانيا : تكافل الجماعة الاسلامية
ثالثا : المراة فى الاسلام
رابعا : مجتمع الاسلام بين الماضى والحاضر
خامسا : من مقومات المجتمع الصالح

صفحة

سادسا : العادات الشعبية
سابعا : أعيادنا
ثامنا : الى الشباب

الفصل الأول

مجتمع الاسلام ـ بناؤه وتطوره

الفردية أو الوجود الفردى فى الاسلام ٢٤٣
الاحتفاظ بشخصية الفرد فى الجماعة ٢٤٦
ايجابية الاسلام فى توجيه الفرد ٢٤٩
تبادل الشعور بين الفرد والجماعة ٢٥٢
وحدة الجماعة ٢٥٧
تماسك الجماعة ٢٥٩
الميل الاجتماعى وطريق انمائه ٢٦٣

الفصل الثانى

تكافل الجماعة الاسلامية

التكافل فى البناء والاستقرار ٢٧٣
التكافل فى المحافظة على البقاء ٢٧٧
التكافل فى المحافظة على الولاء ٢٨٠
عدم الخداع فى الصلات بين الأفراد والجماعة ٢٨٤
الرعاية والمسؤولية ٢٨٦
أداء الواجب أولا ٢٨٩

الفصل الثالث

المرأة فى الاسلام

المرأة فى الأسرة ٢٩٩
المرأة كزوجة ٣٠٤
المرأة كأم ٣٠٧
المرأة فى ميدان الخدمة العامة ٣١٠
المرأة فى ميدان العمل ٣١٢
المرأة فى ميدان الدفاع عن الوطن ٣١٤
تقييد الطلاق ٣١٦

صفحة

الفصل الرابع

مجتمع الاسلام بين الماضى والحاضر

المجتمع الاسلامى قام على الايمان بالمثل والدفع الذاتى الى تحقيقها ٣٢٣
المجتمع الاسلامى قام على الاقرار بالوجود المشترك ورعاية الحرمات الفردية ٣٢٦
المجتمع الاسلامى قام على اساس التعاون ٣٢٩
المجتمع الاسلامى عام على رعاية الطبيعة البشرية للأفراد ٣٣٧
المجتمع الاسلامى كيانه مبادىء ، وارضه ليس فيها فواصل ٣٤١
المجتمع الاسلامى لغته العربية ٣٤٤
المجتمع الاسلامى فى علاقته بالمجتمعات الاخرى ٣٤٧
المجتمع الاسلامى ليس مجتمع طوائف ٣٥٠
المجتمع الاسلامى ليس مجتمع طبقات ٣٥٣

الفصل الخامس

من مقومات المجتمع الاسلامى

الايمان ٣٥٩
حب الغير ٣٦٢
حب الخير ٣٦٥
تحريم الخمر والميسر ٣٦٨

الفصل السادس

العادات الشعبية

ادب الاجتماع ٣٧٣
ادب المساكنة والجوار ٣٧٦
اللغو والفضول ٣٨٠
اداب البيع والشراء ٣٨٣

الفصل السابع

اعيادنا

اثر الاحتفال بالذكريات ٣٨٩
الهجرة كفاح لتحرير الانسان ٣٩٢

صفحة
الهجرة أول صرح فى بناء الوحدة ٣٩٦
شهر شعبان ٤٠٠
غزوة بدر « يوم المبادىء » ٤٠٣
يوم بدر ٤٠٧
الأعياد فرصة لتجديد الحياة ٤١٠
العيد فى حياتنا الاجتماعية ٤١٤
الروابط الانسانية فى العيد ٤١٨
عيد الفطر ٤٢١
العيد الاكبر وأيام التشريق ٤٢٦

الفصل الثامن

الى الشباب

طريق المستقبل ـ الايمان والمعرفة ٤٣١
النصر ٤٣٣
الصبر والتحمل ٤٣٥
من توجيهات الاسلام للشباب (القوة غاية مطلوبة فى الاسلام) ٤٣٧
مواقف ومثل ٤٤٠

الباب الرابع

الاسلام رسالة عالمية

اولا : مع المجتمع الاسلامى
ثانيا : عالمية الاسلام

الفصل الأول

مع المجتمع العربى

الكفاح فى تاريخ الشعب العربى ٤٤٧
أواصر القربى فى الشعب العربى ٤٥٠
الأمانى القومية ٤٥٤
واجب الشعب العربى فى حاضره ٤٥٨
نحو مجتمع عربى افضل ٤٦١

صفحة

الوحدة ثمرة للفكر المشترك ٤٦٥
تمسكنا بالمبادىء يكفل انتصارنا ٤٦٨

الفصل الثانى

عالمية الاسلام

المادية والروحية فى الاسلام ٤٧٣
الاسلام والحضارة الحديثة ٤٧٦
التكافؤ الانسانى فى الاسلام ٤٧٩
السلام العالمى فى الاسلام ٤٨٢
المسلمون والشعوب الاخرى ٤٨٦
المسلمون امة واحدة ٤٩٠
قوة المسلمين فى ولاء بعضهم لبعض ٤٩٣
الاسلام أكبر عدو للاستعمار ٤٩٦
مسلمون واسلام ٥٠١
مبادىء الاسلام تكفل حقوق الانسان ٥٠٥
حقوق الانسان فى الاسلام ٥٠٩

صـدر للمؤلف

١ ـ الجانب الالهى من التفكير الاسلامى
٢ ـ الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى
٣ ـ الدين ، والدولة ـ من توجيه القرآن الكريم
٤ ـ الدين والحضارة الانسانية
٥ ـ الفكر الاسلامى المعاصر ـ ومشكلات الحكم والتوجيه
٦ ـ الفكر الاسلامى المعاصر ـ ومشكلات الاسرة والتكافل
٧ ـ الفكر الاسلامى فى تطوره
٨ ـ الاسلام فى الواقع الايديولوجى المعاصر
٩ ـ طبقية المجتمع الأدبى وانعكاس آثارها على المجتمع الاسلامى المعاصر
١٠ ـ تهافت الفكر المـادى التاريخى
١١ ـ خمس رسائل الى الشباب المسلم المعاصر
١٢ ـ الاسلام فى حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة
١٣ ـ راى الدين بين السائل ـ والمجيب
١٤ ـ من مفاهيم القرآن ـ فى العقيدة والسلوك .
١٥ ـ تفسير سورة الأعراف
١٦ ـ تفسير سورة الجن
١٧ ـ تفسير سورة الصافات

تحت الطبع :

١ ـ غيوم تحجب الاسلام
٢ ـ منهج القرآن فى تطوير المجتمع ـ من التفسير الموضوعى
٣ ـ نحـو .. القرآن
٤ ـ تفسير سورة الأنعام
٥ ـ تفسير سورة النحل
٦ ـ تفسير سورة الشعراء
٧ ـ تفسير سورة يونس
٨ ـ تفسير سورة المؤمنون
٩ ـ عالمية الثقافة فى القرن السادس الهجرى .

رقم الايداع ١٩٧٣/٤٢٧٦